بسم الله الرحمن الرحيم

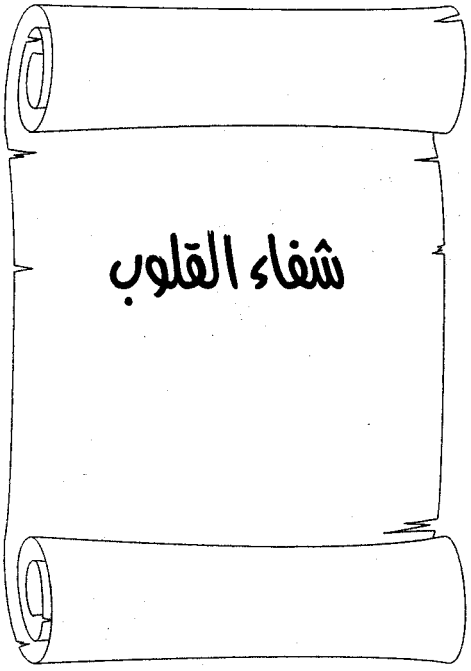
شفاء القلوب

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م

رقم الإيداع بدار الكتب

٩٧/٩٩٩٣

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد للَّه نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ باللَّهِ من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده اللَّه فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد ألا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١]

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب اللَّه، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر

الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار ، وبعد :

فهذه رسالة نافعة إن شاء اللَّه تتعلق بالقلوب وما يعتريها من آفات وأمراض وأدواء ، وعلاج هذه الآفات والأمراض والأدواء من كتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ ، وقد كانت هذه الرسالة موضوع محاضرة بعنوان « شفاء القلوب»، ألقيت في عدة مدن ثم قمت بتنقيحها وتهذيبها وتخريج أحاديثها، مع بعض الإضافات التي أراها تتناسب مع موضوع الرسالة، وتحدث في القلب رقة بإذن اللَّه ، وذلك بإيراد طائفة من أحاديث الرقاق الثابتة عن رسول اللَّه ﷺ في ثنايا هذه الرسالة ، وأيضًا أوردت طائفة من سير السلف الصالح من الصحابة وغيرهم لعلها تحدث في القلب رقة ، وأوردت أيضًا أنواعًا من الأدوبة والمقويات العامة التي يستعين بها العبد لتقوية قلبه ، ونبهت فيها على أمورٍ ينبغي ؛ بل يجب أن تُتقي وتُحذر حتى يسلم للعبد قلبه ويلقى ربه بقلب سليم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى اللَّه بقلب سليم .

فإلى موضوع الرسالة ، وأسأل اللَّه أن يشفي بها صدور قوم مؤمنين .

وصلى اللَّه وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه .

كتبهـــا

أبو عبد الله / مصطفى العدوي

مصر ـ الدقهلية ـ منية سمنود

أثر سلامة القلب على سعادة المرء في الدنيا والآخرة

لسلامة القلب عظيم الأثر في سعادة المرء في الدنيا والآخرة ؛ فلا يكاد العبد ينتفع بشيء في دنياه وأخراه أعظم من انتفاعه بسلامة قلبه ، سلامته من الشرك والنفاق والرياء والكبر والعجب وسائر الأمراض التي تعتريه، ولا أعني أمراض البدن التي منها أمراض القلوب ، وإنما أعني تلكم الأمراض التي تعتري القلب مما يتعلق بدينه ؛ فهي أعظم الأمراض فتكًا على الإطلاق وأشدها تدميراً وأسوأها أثراً ؛ بل وليست هناك مقارنة على الإطلاق بين مرضٍ بدني يعتري القلب ويحتاج إلى بعض الأدوية والمسكنات ، وبين مرض يجرح دينه ويُذهب تقواه .

● فالأخير يجلب على العبد نكدًا وهمًّا وغمًّا وعذابًا في الدنيا والآخرة.

أما الأول فقد يُثاب عليه العبد المؤمن إذا صبر واحتسب ، كسائر الأرض التي يُثاب عليها المؤمن إذا صبر واحتسب كما جاء عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال : « **ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم ـ حتى الشوكة يشاكها ـ إلا كفَّر اللَّه بها من خطاياه** »[1] .

ولكن من قصور نظر الخلق وقلة أفهامهم وضيق مداركهم لا يُولون الأهم والأخطر ـ وهو المرض المتعلق بالدين ـ أدنى أهمية ، وفي المقابل

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٥٦٤١ ، ٥٦٤٢) ومسلم (حديث ٢٥٧٣) من حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنهما عن النبي ﷺ .

إذا شعر أحدهم بأي مرض عضوي يعتري قلبه من قلة نبضات أو سرعتها أو أي نوع من تلكم الأمراض؛ فإنه يبادر وبسرعة بالذهاب إلى الأطباء، ويسأل عن أعلم أهل الطب بطب القلوب ، ويبحث عن أكثرهم مهارة وأحذقهم تطبيبًا ، ولم يدخر وسعًا في الذهاب إليه ، ولو كلَّفه ذلك الغالي والنفيس من دنياه .

وخفي على هؤلاء أن هذه الحياة الدنيا إنما هي سنوات قليلات وأيام معدودات وبعد ذلك فهنالك الدار الآخرة التي هي الحيوان[1] لو كانوا يعلمون ، تلكم الدار التي يحتاج القرار فيها إلى سلامة القلب من الشرك

---

(١) أي الحياة الدائمة الباقية .

ولأهل العلم أقوال في المراد بالقلب السليم :

أحدها ، والذي عليه الأكثرون : أنه القلب السليم من الشرك والشك ، وقد نقل القرطبي هذا القول عن أكثر المفسرين.

والمراد بسلامته من الشك: أن يعلم أن اللَّه حق، وأن الساعة قائمة، وأن اللَّه يبعث من في القبور .

أخرجه الطبرى بإسناد صحيح عن عون قال : قلت لمحمد (يعنى ابن سيرين): ما القلب السليم ؟ قال : أن يعلم أن اللَّه حق ، وأن الساعة قائمة ، وأن اللَّه يبعث من في القبور.

وقال الطبرى : والذي عُني به من سلامة القلب في هذا الموضع : هو سلامة القلب من الشك في توحيد اللَّه ، والبعث بعد الممات.

وأخرج الطبرى بإسناد صحيح عن ابن زيد قال : سليم من الشرك؛ فأما الذنوب فليس يسلم منها أحد .

الثاني : أن المراد بالسليم: الخالي من البدعة ، المطمئن إلى السُّنة.

الثالث : أن المراد بالسليم : السليم من آفة المال والبنين .

الرابع : السليم : الخالص

والنفاق والعجب والرياء وسائر الأمراض التي نحن بصدد الحديث عنها لخطورتها وسوء أثرها .

● قال خليل الله إبراهيم ﷺ :﴿وَلا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء: ٨٧ - ٨٩]

● قلبٌ سليمٌ من الشك والشرك والشقاق والنفاق !!، سليم من الغل للذين آمنوا !!

سليم من الرياء ـ سليم من الأحقاد !

سليم لم يُصب بالقسوة ولم يختم عليه بالأختام !

سليم لم يتلوث بآثار الجرائم والذنوب والمعاصي .

= وقال بعض أهل العلم : إن المراد بالسليم اللديغ ـ كما في حديث إن سيد هذا الحى سليم أي لديغ ـ ، قالوا : والمعنى أنه كاللديغ من خوف الله .

وهذا هو **القول الخامس** ، وقد طعن في هذا الوجه صديق حسن خان في تفسيره « فتح البيان » بقوله : وهذا تحريف وتعكيس لمعنى القرآن.

القول السادس : ووصفه الرازي بأنه أصح الأقوال : أن المراد منه : سلامة النفس عن الجهل والأخلاق الرذيلة .

القول السابع : أنه سليم من موالاة المشركين وحبهم .

أما القرطبى فإنه اختار أن المراد بالقلب السليم: أنه القلب الخالص ، قال : وهذا القول يجمع شتات الأقوال بعمومه وهو حسن ، أي : الخالص من الأوصاف الذميمة، والمتصف بالأوصاف الجميلة ، والله أعلم.

قلت : والقول بالتعميم قول جيدٌ وله وجاهته؛ فالقلب السليم: سليم من الشرك وموالاة أهله، وسليم من الشرك، وسليم من البدعة، وسليم من الذنوب والمعاصى، وسليم من الأغلال، وسليم من الأحقاد ومتصف بالأوصاف الجميلة، وخالص من الأوصاف الرذيلة ، وهو قلب خائف وَجِلٌ من ربِّه عز وجل، والله أعلم .

ولم يتدنس بالبدع والخرافات والأوهام وظن السوء .

سليم يحمل كل هذه المعاني .

● هذا هو القلب الذي ينفع صاحبه يوم القيامة، كما انتفع الخليل إبراهيم عليه السلام ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ﴾ [النجم: ٣٧]، إبراهيم الذي ابتلاه اللَّه بكلمات فأتمهن فجعله اللَّه للناس إمامًا ﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الصافات: ٨٤]

● بصلاح هذا القلب يصلح سائر الجسد، كما قال النبي ﷺ : « **ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب** »[1] .

● هذا القلب المنيب الذي يورث صاحبه الجنان وتقرَّب له وتُدنى ، قال اللَّه تبارك وتعالى : ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣١ - ٣٥]

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٥٢) ومسلم (حديث ١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير ـ رضي اللَّه عنه ـ قال سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : « **الحلال بين ، والحرام بين ، وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس . فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه . ألا وإن لكل ملك حمًى ، ألا إن حمى اللَّه في أرضه محارمه ، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب**».

● قال الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه « فتح الباري » (١/ ١٢٨) : « وخصَّ القلب بذلك لأنه أمير البدن ، وبصلاح الأمير تصلح الرعية ، وبفساده تفسد ، وفيه تنبيه على تعظيم قدر القلب ، والحث على صلاحه ، والإشارة إلى أن لطيب الكسب أثرًا فيه » .

● هذا القلب المليء بالخير سبب في الفتح في الدنيا ، وسبب في الخير في الدنيا أيضًا .

قال اللَّه تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ** ﴾[الأنفال: ٧٠] فانظر إلى الآية الكريمة ، كفارٌ أُسروا ووقعوا في الأسر في أيدي المسلمين فمنهم من يقول إني كنت مسلمًا وكان في قلبي خير ؛ فقال اللَّه لنبيه ﷺ : ﴿ **قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ** ﴾ [الأنفال: ٧٠]

فاللَّه يؤتي الخير بناءً على الخير الذي في القلوب .

وهو سبحانه يغفر الذنوب ـ للخير الذي في القلوب ﴿ **وَيَغْفِرْ لَكُمْ** ﴾.

● وهاهم أصحاب نبينا محمد ﷺ كيف نزلت عليهم السكينة وبما نزلت بعد توفيق اللَّه سبحانه لهم ؟!!

قال اللَّه سبحانه : ﴿ **لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا** ﴾ [الفتح:١٨]

فانظر إلى قوله تعالى : ﴿ **فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا** ﴾ [الفتح: ١٨، ١٩]

فلما علم اللَّه ما في قلـــوب أصحاب نبيه ﷺ .

أنزل السكينة عليهم !!!

وأثابهم فتحًا قريبًا !!!

ومغانم كثيرة يأخذونها !!!

كل هذا لما علمه اللَّه من الخير الذي في القلوب .

● وانظر كذلك إلى فائدة تعلق القلب بالمساجد قال النبي ﷺ[١]: «**سبعة يظلهم اللَّه في ظله يوم لا ظل إلا ظله.... ورجل قلبه معلقٌ في المساجد**» .

● **فالخيرات والبركات والنصر والفتوحات كل ذلك يتنزل من عند اللَّه سبحانه على قدر ما في القلوب من خير .**

● **وكذلك رفع الدرجات وعلو المنازل ووراثة الجنان كل ذلك من عظيم أسبابه ما في القلوب من خير .**

● **واللَّه سبحانه وتعالى ينظر إلى القلوب والأعمال** ، ويُجازي عليها ويثيب ويعاقب ، ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة[٢] رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **إن اللَّه لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم** » .

● وفي رواية لمسلم[٢] من حديث أبي هريرة أيضًا قال: قال رسول اللَّه ﷺ : « **لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد اللَّه إخوانًا ، والمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، التقوى هاهنا ـ ويشير إلى صدره ثلاث مرات.....**» .

فيا سبحان اللَّه ما أسعد أصحاب القلب السليم .

● هنيئًا لهم هؤلاء الذين وحَّدوا اللَّه ولم يشركوا به شيئًا ولم يراءوا ولم ينافقوا .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٦٦٠) ومسلم (مع النووي ٧/ ١٢٠) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا .

(٢) مسلم (ص١٩٨٧) .

(٣) مسلم (حديث ٢٥٦٤) .

● هنيئًا لهم هؤلاء القوم الذين باتوا وليس في قلوبهم غلٌّ للذين آمنوا.

● هنيئًا لهم هؤلاء الذين أحبوا للمؤمنين ما أحبوه لأنفسهم .

● هينئًا لهم هؤلاء الذين حافظوا على قلوبهم ولم يلوثوها. بذنوب ترسب عليها السواد والنكت والران والختم .

● هنيئًا لهم هؤلاء الذين اطمأنت قلوبهم بذكر اللَّه.

● طوبى لهؤلاء وحسن مآب.

● يكاد أحدهم يطير في الهواء من سعادته وخفة قلبه وهو يحب للمؤمنين الخير وقلبه نظيف من الذنوب والمعاصي، وقلبه سعيدٌ لحلول الخير على العباد.

هنيئًا لهم هؤلاء الرحماء أرقاء القلوب لذوي القربى والمسلمين !!

*** وكذلك العقوبات والمؤاخذات[1] كمٌّ كبير منها ينبني على ما في القلوب :**

● قال اللَّه تعالى : ﴿وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥]

---

(١) وها هو بحث مختصر في ذلك .

وردت عدة أدلة تفيد أن من حسنت نيته ، ولو لم يعمل كثير عمل وكانت أعماله ؛ فإنه يُثاب وترفع درجته ، ومن هذه الأدلة ما يلي :

قول النبي ﷺ : « **إن بالمدينة لرجالاً ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم** » قالوا : يا رسول اللَّه وهم بالمدينة ؟! قال « **وهم بالمدينة ، حبسهم العذر** » ، وفي رواية : «**إلا شركوكم في الأجر** » ، وفي رواية: « **حبسهم المرض**»

أخرجه البخاري (٤٤٢٣) ومسلم (١٩١١) من حديث أنس رضي اللَّه عنه.

ومنها: قول النبي ﷺ : « **المرء مع من أحب** » .

أخرجه البخاري (٦١١٦٨) ومسلم (٢٦٤٠) من حديث عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه.=

. . . . . .

= ومنها : ما أخرجه البخاري (٧٥٠١) ومسلم (١٢٨) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال : « **يقول اللَّه : إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة فلا تكتبُوها عليه حتى يعملها ؛ فإن عملها فاكتبوها بمثلها ، وإن تركها من أجلي فاكتبوها له حسنة. وإذا أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة ، فإن عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها إلى سبعمائة** » .

وأخرج مسلم في « صحيحه » (حديث ١٢٨) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ : « **قال اللَّه عزَّ وجل: إذا تحدث عبدي بأن يعمل حسنة فأنا أكتبها له حسنةً ما لم يعمل ، فإذا عملها فأنا أكتبها بعشر أمثالها ، وإذا تحدَّث بأن يعملَ سيئةً فأنا أغفرُها له ما لم يعملها فإذا عملها فأنا أكْتُبها له بمثلها** » .

وقال رسول اللَّه ﷺ :

« **قالت الملائكة : رب هذا عبدك يريد أن يعمل سيئة (وهو أبصر به) فقال : ارقبوه فإن عَمِلَها فاكتبوها له بمثلها وإن تركها فاكتبوها له حسنةً إنما تركها من جرَّاي**».

وفي رواية لمسلم (في طرق حديث ١٢٨) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن رسول اللَّه ﷺ :

« **قال اللَّه عز وجل : إذا همَّ عبدي بحسنة ولم يعملها كتبتُها له حسنة ، فإن عملها كتبتُها عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف ، وإذا همَّ بسيئة ولم يعملها لم أكتُبها عليه ، فإن عملها كتبتُها سيئةً واحدة** » .

وأخرجه البخاري (٦٤٩١) ومسلم (١٣١) من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه عز وجل قال :

« **إن اللَّه كتب الحسنات والسيئات ثمْ بيَّن ذلك فمن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبها اللَّه لهُ عنده حسنةً كاملةً ، فإن هو همَّ بها فعملها كتبها اللَّه له عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، ومن همَّ بسيئة فلم يعملها كتبها اللَّه له عنده حسنة كاملة ، فإن هو همَّ بها فعملها كتبها اللَّه له سيئة واحدة** » .

● وثمَّ أحاديث أُخر في الباب؛ فمن عقد العزم على الخير ، وأحب فعل الخير؛ جازاه اللَّه خيرًا على ما في قلبه، وكتب له الأجر والمثوبة . =

. . . . . .

= • **أما بالنسبة لحديث النفس**؛ فقد وردت جملة أدلة تفيد أن اللَّه عز وجل تجاوز لهذه الأمة عما حدثت به أنفسها منها :

قول النبي ﷺ: «**إن اللَّه تجاوز لي عن أمتي ما وسوست به صدورها ما لم تعمل أو تكلم**» أخرجه البخاري (٢٥٢٨) ومسلم (١٢٧) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه.

• **أما بالنسبة لإصرار القلب على معصية اللَّه عز وجل** ؛ فعلى ذلك إثمٌ سواء أمضى ذلك الإصرار أم لم يمضه وعلى ذلك أدلة منها :

قول اللَّه تعالى : ﴿**إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ**﴾ [الحجرات: ١٢]

وقول اللَّه تعالى : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**﴾ [النور: ١٩]

قول اللَّه تعالى : ﴿**وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ**﴾ [البقرة: ٢٢٥]

قول النبي ﷺ : « **إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار** » أخرجه البخاري (٧٠٨٣) ومسلم (٢٨٨٨) من حديث أبي بكرة رضي اللَّه عنه .

ولا يلزم أن تكون عقوبة من عقد العزم على المعصية متساوية مع عقوبة من باشرها .

• **أما إذا ترك الإصرار والعزم على المعصية ولم يمضهما فهو على أنواع :**

إما أن يكون ترك ذلك العزم والإصرار **ابتغاء مرضاة اللَّه** عز وجل ؛ فذلك يثاب ويشهد له رواية « **فاكتبوها حسنة فإنما تركها من أجلي** » ، وفي رواية: « **فإنما تركها من جراي** » ، وكلاهما مذكورة في حديث الباب.

ويتأيد ذلك بحديث الثلاثة الذين آووا إلى الغار وفيه : « **قال أحدهم : اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي ابنة عم من أحب الناس إليَّ وإني راودتها عن نفسها فلما قعدت بين رجليها فقالت اتق اللَّه ولا تفض الخاتم إلا بحقه فقمت وتركت المائة الدينار فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا ففرج اللَّه عنهم** » .

أخرجه البخاري (٣٤٦٥) ومسلم (٢٧٤٣) من حديث ابن عمر رضي اللَّه عنهما عن النبي ﷺ .

وإما أن يكون ترك ذلك العزم والإصرار **لحائل حال بينه وبين الفعل** ؛ كمن يذهب يزني=

. . . . . .

= بامرأة فوجد الباب مغلقًا ولم يستطع فتحه، أو وجد شرطيًّا أو قريبًا للمرأة . . . فذلك يأثم واللَّه أعلم .

وإما أن يكون **ترك ذلك** العزم والإصرار **سهوًا أو نسيانًا** ؛ فيعاقب على عزمه وإصراره لكنه بدرجة أقل من السابقة واللَّه أعلم .

هذا حاصل ما وقفنا عليه وتوصلنا إليه بعد قراءة أقوال أهل العلم في هذه المسألة ، ولا بأس أن ننقل قول بعضهم :

● **قال النووي رحمه اللَّه** (٣٣٦١) بعد أن ذكر الأحاديث: قال الإمام المازري رحمه اللَّه: مذهب القاضي أبي بكر بن الطيب رحمه اللَّه أن من عزم على المعصية بقلبه ووطن نفسه عليها أثم في اعتقاده وعزمه ، ويحمل ما وقع في هذه الأحاديث وأمثالها على أن ذلك فيمن لا يوطن نفسه على المعصية ، وإنما مر ذلك بفكره من غير استقرار ويسمى هذا همًّا ، ويفرق بين الهم والعزم . هذا مذهب القاضي أبي بكر وخالفه كثير من الفقهاء والمحدثين ، وأخذوا بظاهر الحديث.

قال القاضي عياض رحمه اللَّه: عامة السلف وأهل العلم من الفقهاء والمحدثين على ما ذهب إليه القاضي أبو بكر للأحاديث الدالة على المؤاخذة بأعمال القلوب، لكنهم قالوا: إن العزم يكتب سيئة ، وليست السيئة التي هم بها لكونه لم يعملها وقطعه عنها قاطع غير خوف اللَّه تعالى والإنابة ، لكن نفس الإصرار والعزم معصية؛ فتكتب معصية، فإذا عملها كتبت معصية ثانية، فإن تركها خشية للَّه تعالى كتبت حسنة كما في الحديث « **إنما تركها من جراي**» فصار تركه لها لخوف اللَّه تعالى ومجاهدته نفسه الأمارة بالسوء في ذلك وعصيانه هواه حسنة؛ فأما الهم الذي لا يكتب فهي الخواطر التي لا توطن النفس عليها ولا يصحبها عقد ولا نية وعزم ، وذكر بعض المتكلمين خلافًا فيما إذا تركها لغير خوف اللَّه تعالى بل لخوف الناس هل تكتب حسنة ؟ قال : لا لأنه إنما حمله على تركها الحياء ، وهذا ضعيف لا وجه له.

هذا آخر كلام القاضي وهو ظاهر حسن لا مزيد عليه ، وقد تظاهرت نصوص الشرع بالمؤاخذة بعزم القلب المستقر، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ** ﴾ [النـــور: ١٩] الآية، وقـــوله تعـــالى : =

● وهاهم أصحاب الجنة، أصحاب الحديقة والبستان الذين ابتلاهم اللَّه عز وجل عوقبوا عقوبة عاجلة في الدنيا لما أضمرته قلوبهم من شر وبخل كما حكى اللَّه سبحانه فقال : ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ [القلم: ١٧ - ٢٠]

● وها هي طائفة من أصحاب رسولنا ﷺ ورضي اللَّه عنهم وعفا عنهم لما خرج بعضهم يريد الدنيا يوم أُحد كان إرادته سببًا في هزيمة إخوانه ، عفا اللَّه عن الجميع ، قال اللَّه سبحانه : ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٢]

● فيا سبحان اللَّه ، كيف كانت إرادة الدنيا عند فريقٍ سببًا في هزيمته وهزيمة من معه !!

● وها هو رجل ـ الغالب عليه النفاق ـ لم ير المؤمنون منه نفاق ، لكن اللَّه يعلمه ويعلم ما في قلبه ، ذلكم الرجل كان يقاتل مع رسول اللَّه ﷺ ومع أصحاب رسول اللَّه ﷺ .

● كان جريئًا ـ كان شُجاعًا ـ كان مغوارًا .

● كان لا يدع للمشركين شاذة ولا فاذة إلا تبعها .

= ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢] ، والآيات في هذا كثيرة ، وقد تظاهرت نصوص الشرع وإجماع العلماء على تحريم الحسد واحتقار المسلمين وإرادة المكروه لهم، وغير ذلك من أعمال القلوب وعزمها ، واللَّه أعلم.

● يقتل من المشركين الجم الغفير ويجرح فيهم ويطعن!!!

● ولكن اللَّه يعلمه ويعلم ما في قلبه ، ولذلك قال النبي ﷺ فيه « **هو من أهل النار** » !!

كاد المسلمون أن يرتابوا ؟؟ كيف هو من أهل النار ، وهو أشجعنا ؟! سبحان اللَّه هو من أهل النار؟

ولِما هو من أهل النار ؟ اللَّه يعلم ذلك ! هو سبحانه الحكيم الخبير هو العليم بما في الصدور ، هو العليم بما في قلب هذا الرجل .

● **ها هي قصته ، وها هو شأنه :**

أخرج البخاري ومسلم[١] من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ التقى هو والمشركون فاقتتلوا . فلما مال رسول اللَّه ﷺ إلى عسكره . ومال الآخرون إلى عسكرهم . وفي أصحاب رسول اللَّه ﷺ رجل لا يدع لهم شاذة[٢] إلا اتبعها يضربها بسيفه . فقالوا : ما أجزأ منا اليوم أحد كما أجزأ فلان[٣] . فقال رسول اللَّه ﷺ : « **أما إنه من أهل النار** » فقال رجل من القوم : أنا صاحبه[٤] أبدًا . قال فخرج معه . كلما وقف

---

(١) البخاري (حديث ٢٨٩٨) ومسلم (حديث ١١٢) .

(٢) (لا يدع لهم شاذة) الشاذ والشاذة : الخارج والخارجة عن الجماعة . قال القاضي عياض رحمه اللَّه : أنث الكلمة على معنى النَّسمة . أو تشبيه الخارج بشاذة الغنم . ومعناه أنه لا يدع أحدًا ، على طريق المبالغة . قال ابن الأعرابيّ : يقال فلان لا يدع شاذة ولا فاذة، إذا كان شجاعًا . لا يلقاه أحد إلا قتله .

(٣) (ما أجزأ منا اليوم أحد ما أجزأ فلان) معناه : ما أغنى وكفى أحد غناءه وكفايته.

(٤) (أنا صاحبه) كذا في الأصول . ومعناه : أنا أصحبه في خفية ، وألازمه لأنظر السبب الذي به يصير من أهل النار.

وقف معه . وإذا أسرع أسرع معه . قال : فجرح الرجل جرحًا شديدًا . فاستعجل الموت فوضع نصل سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه[١] ، ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه ، فخرج الرجل إلى رسول اللَّه ﷺ فقال : أشهد أنك رسول اللَّه . قال : « **وما ذاك ؟** » قال : الرجل الذي ذكرت آنفًا أنه من أهل النار فأعظم الناسُ ذلك فقلت : أنا لكم به ، فخرجت في طلبه حتى جرح جرحًا شديدًا ؛ فاستعجل الموت ، فوضع نصل سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه . ثم تحامل عليه فقتل نفسه . فقال رسول اللَّه ﷺ ، عند ذلك : «**إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار. وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة** » .

- فعياذًا باللَّه ما أشقى هؤلاء أصحاب القلوب الخبيثة !!
- ما أشقى هؤلاء الذين حملوا بين جثمانهم قلوب الشياطين[٢] !! .
- ما أتعس هؤلاء الذين أشركوا باللَّه مالم ينزل به سلطانًا !!
- ما أتعس هؤلاء الذين نافقوا وخدعوا المؤمنين والمؤمنات !!
- ما أشد عذاب هؤلاء الذين امتلأت قلوبهم بحب شيوع الفاحشة في الذين آمنوا ، فادُّخر لهم العذاب الأليم في الآخرة فضلاً عما عجل لهم منه في الدنيا !!

---

(١) « ذبابه » ذباب السيف هو طرفه الأسفل . وأما طرفه الأعلى فمقبضه(نقلاً عن حاشية مسلم) .

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» (ص١٤٧٦) من حديث حذيفة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال : « **يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهُداي ولا يستنون بسنتي ، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس..**» .

● فإلى هؤلاء الذين اشتعلت قلوبهم بنار الغِلِّ وامتلأت بنار الحسد والكبرياء ، هلموا يا هؤلاء إلى إخماد هذه النيران وإطفائها من قبل أن تستعر في أجوافكم فتُمزق القلوب وتحرق الأجساد !!!

● إلى هؤلاء الذين منعهم الحقد على العباد من النوم وجعلهم يتقلبون على الفُرُشِ طيلةَ ليلهم ، هلموا إلى ما يجلب لكم النوم ويحقق لكم الراحة!!

● إلى مَنْ حسدوا الناس على ما آتاهم اللَّه من فضله ، وأرادوا أن يتحكموا في أرزاق اللَّه وفي أقدار اللَّه وفي تدبير اللَّه ففشلوا في ذلك ولم يستطيعوا منع رزق اللَّه عن أحدٍ ولا جلب ضرٍّ لأحد ، فباتوا وقلوبهم مضطربة ، وقلوبهم قلقة ، وقلوبهم ملوثة ، وقلوبهم مدنسة ألا فأقبلوا يا هؤلاء على ما يُسكِّن القلوب ويُهدئ الفؤاد .

● إلى مَنْ أشركوا باللَّه مالم يُنزل به سلطانًا فأُلقي في قلوبهم الرُّعب!!

● إلى مَنْ نافقوا وخادعوا وأقبلوا على الرياء والسُّمعة وعملوا للناس ولم يعملوا للَّه فحبطت أعمالهم وذهب ثوابها !!

● ألا فليعلم جميع هؤلاء أن اللَّه يعلم ما في قلوبهم فليحذروه !!

● ألا فليعلم هؤلاء أن اللَّه عليم بذات الصدور فليصلحوها !!

● ألا فليعلم هؤلاء أن هناك نار تطلع على الأفئدة ـ كما قال تعالى :

﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴾

[الهمزة: ٥ - ٧]

● إنها نار يطلع لهيبها إلى الفؤاد فيحرقه .

● إنها نار ترى النيات الخبيثة والعقائد الخبيثة والأمراض الخبيثة في القلوب فتحرق تلك القلوب عياذًا باللَّه.

فنداء ، واستصراخ قبل أن تحرق هذه القلوب.

● فجديرٌ بالعبد أن يتجه إلى إصلاح قلبه وتنظيفه وحشوه بالخير وملئه بالإيمان وغرس التقوى فيه !!

● جدير بالعبد أن يكثر من ذكر اللَّه وأن يسأل ربَّه سبحانه وتعالى لقلبه الشفاء والثبات على الإيمان حتى الممات!!

● حريٌّ بالعبد أن يبحث عن سبب مرض قلبه وأن يسأل عن علاجه !!

● ها هي جملة أمراض تعتري القلوب ، وها هو علاجها ، والشفاء في كل حال من عند اللَّه سبحانه وتعالى ، لا شفاء إلا شفاؤه .

فإلى أمراض القلوب ، ها هو المرض، وهذا علاجه ، هذا هو الداء، وهذا دواؤه .

دواءٌ لا يكاد يخطئ ، بل لا يخطئ أبدًا ما دام دواءً من عند اللَّه ، ما دام دواء من كتاب اللَّه وسنة رسول اللَّه ﷺ .

فعليك بالدواء ولا تفرط فيه ولا تُقَصِّرْ في تناوله ولا تتغافل عنه !!

هذا الداء ! وهذا الدواء !

هذا المرض ! وفي هذا الشفاء !

* * *